

الحسن الثاني

بقلم: الحسن بن محمد

من هو الحسن بن محمد

إنكم تعلمون حق العلم من هو أخوكم في الإسلام الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن، تعلمون أنه مسلم مطمئن الإسلام مومن قوي الإيمان. وبهذه الصفة لا يمكنه إلا أن يكون مقداماً مستمراً الإقدام ومخلصاً وصريحاً دائماً وأبداً مدى العصر والأزمان...

... إنني من المدرسة الإسلامية، مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام التي تفضل الحوار على كل شيء وتجعل من الحرب آخر مرحلة للحوار.

الحسن ابن الملوك العلويين

وليكن شعبنا موقناً بأن الحسن الثاني يحمل اسم المواطن المكتوب في حالته المدنية الحسن بن محمد. محمد الذي جند القرائح وحقق استقلال بلاده ووحدة ترابها. ولا يمكن أن يكون ابنه سائراً على طريقة مخالفة لما سار عليه أبوه وهو الذي قاسم منفاه وكل ما جاش بصدره من عواطف نحو شعبه ومستقبل بلاده. والحسن ابن الملوك العلويين الذين جندوا أنفسهم لتوحيد التراب لا للتخلي عنه. ويستحيل أن يكتب في صحيفتي أن ابن العلويين سار على غير طريقهم...

... فالقائم بأمرك بفضل الله ومنته وقوته



فقد أخذ الوطنية عن أكبر شيخ وأعظم أستاذ، لم يأخذها فكريًا فقط ولا نظريا. ولكنه مارسها مراساً جديداً صعبًا طويلا، وقد ورث من أبيه وعن أبيه الاعتزاز بمغربيته والحفاظ على كيانها ... وإذا كان لا حد للكمال ولا نهاية للفضيلة، فبكل تواضع وبكل شكر لله، لا نهاية لمجد المغربي ولا نهاية لسيره ولا نهاية لموكبه المنتصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أنا تلميذ مدرسة محمد الخامس

غير خاف عليك شعبي العزيز أننا كبرنا في مدرسة وطنية، مدرسة محمد الخامس رحمه الله، الذي ألقى خطابه التاريخي سنة 1944 ذلك الخطاب الذي قال فيه مقالتين: الأولى أن الملك والشعب يرغبان في العيش في ظل ملكية دستورية. وفي نفس الخطاب قال رحمة الله عليه: يجب علينا أن لا ننسى في الثورة التي نقوم بها للتحرير وللتعليم وفتح المدارس وإرسال البعثات إلى الخارج يجب علينا أن لا ننسى سواد الأمة الذي يكونه الفلاحون.

وإذن فإن مدرسة محمد الخامس الوطنية كانت مبنية على ثلاثة أسس: الإطار العام ألا وهو الملكية الدستورية والرفع من مستوى شعبه، وذلك بتعميم الثقافة والتعليم وبعث البعثات إلى الخارج دون أن يُنسي ذلك المشاكل الحقيقية والثروات الحقيقية للبلاد التي يكونها ثمانون في المائة من السكان ألا وهي مشاكل الفلاحة.



افتخر بمغربيتي

أفتخر بمغربيتي وأعتز، وأشكر فضل الله على لكوني
جعلني مغربياً أبا وأما...

...إنني فخور بعيد ميلادي لأنه كان في الإمكان أن أزداد في حقبة أخرى من الزمن، سعيد لأنه كان في الإمكان ألا أعيش هذه الظروف أو هذه الحقب من الملاحم، سعيد لأنه لو تقدمت أو تأخرت ما شهدت ما شاهدته ولما شاركت فيما شاركت فيه، ولما أعطيت من نفسي وجهدي وشبابي وقوتي ما أعطيت وما بذلت، فخور بأن ولدت في المغرب، وأن أكون فرداً من الأسرة الكبرى الأسرة المغربية، لأن شعبي، الشعب المغربي، جدير بأن يطمع بأن ينسب إليه كل عظيم عظيم، ويعد في سجل مواليده كل حكيم حكيم.

أنا أحب شعبي

لقد ربانا سيدنا الوالد المرحوم منذ نعومة أظفارنا على الاختلاط بشعبنا والارتباط به بأوثق العرى ومقاسمة سرائه وضرائه، وغداة تربعنا على عرش أسلافنا المنعمين آلينا على أنفسنا أن لا نساير طلباً للراحة ولا استمتاعاً بالرخصة التي هي من حق كل عامل، مادمنا لم نر شعبنا الوفي يمرح في بحبوحة السعادة الكاملة والنعمة الشاملة....

...أنا أحب (المغاربة) في المنشط والمكره وأنا معهم في السراء والضراء، فليست الوطنية ومحبة شعبي مشروطة



عليّ بل أنا ملزم بهذه المحبة كيفما كان الشعب،
أحببته مع أبي في المنفى وبكيت على بلادي وأنا في الخارج،
ودافعت عنها وأنا في الداخل.

أنا ملك المغرب والمغاربة ملوكي

إن العلم (المغربي) عندي يرمز إلى عزة وطني وسيادته وكرامته. وإنني عندما أقول إنني ملك المغرب أعني بذلكم أن المغاربة هم ملوكي الذين يسودونني ولستُ في الواقع أنا الملك الذي أسود المغاربة. ولم أر أحداً في مثل عبوديتي بما معنى هذا؟ معنى عبوديتي هو أن أبقي هذا العلم خفاقاً عالياً ونظيفاً على الدوام، وأدعو الله أن يعينني في ذلك ويشد أزري ...

... إن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن قد فقد حريته منذ أن أصبح أسير قسمه أو كما تقول العامة: "عبد مشرطه الحناك" لبلاده وشعبه. وكما أعتز وأحمد الله أن خلقني مسلماً عبداً لله، أحمده وأشكره أن اختارني لأكون عبداً لهذا الشعب ولهذا الوطن. ولكن أمل الحسن الثاني هذا العبد لوطنه وشعبه يأمل شيئاً هو أن يتحقق في رعاياه المثل القائل: "إن الناس على دين ملوكهم"!

... الحسن الثاني ملك ويحكم ولكن لا أعتقد أنه يحكم وحده. كان بالإمكان أن يكون كذلك في القرون الوسطى عندما كانت المشاكل على مستوى مدينة أو إقليم.



ولا يمكن أن يفعل ذلك الآن، ولم يعد بإمكانه
أن يفعل ذلك هو، ولا أي شخص آخر، لأن المشاكل الاقتصادية
والاجتماعية والسياسية أصبحت من التعقيد، بحيث أصبحت حكومة واحدة
مهما بلغت قوتها وحيويتها لا تستطيع أن تواجهها في مجموعها. وأرى
أن فيما ذكرت مظهراً لصورة يريد أن يعبر بها عن المغرب، ويتعلق الأمر
بأن الملك ملك ويحكم وحده... إن الملك هو ملك البلاد ولكن
قبل كل شيء هو ملك لقلوب رعاياه لأن رعاياه يستحوذون على قلبه.
إن أقل شخص حرية على ما أعتقد وفي مجموع البلاد هو أنا. إنني الوحيد
الذي يمكن الاتصال به في كل وقت وحين ليلاً أو نهاراً بواسطة هاتفه
ومن حاول الاتصال به لا أحد يجيبه بـ (أنه ليس هنا) و(لا ندري أين هو)
إنه حال أقبله وأتحمله بل وفيه أجد مسرة بالغة لأنني تكونت كذلك
وأشتغل من أجل ذلك...

أسرتي المغربية واحدة

وقبل اليوم كانت عندي رئاستان: رئاسة العائلة الصغرى ورئاسة
العائلة الكبرى، واليوم ولله الحمد حققت وصية أبي رحمه الله يوم نصبني
ولياً للعهد وحينما أوصاني بأسرتي الصغرى وأسرتي الكبرى فبما رحمة
من الله جعل سبحانه وتعالى أغراضه وأحلامه تتحقق، واليوم لم يبق
عندي انشغالان ولم تبق عندي قبلتان بل عندي قبلة واحدة
ولم يبق لي أن أقول عندي الأسرة الكبرى والأسرة الصغرى



بل عندما أتكلم أقول أسرتي، علماً بأن ولدي ولدكم وحفيدي حفيدكم وأحفاد أحفادي إن أراد الله هم منكم وإليكم.

الحسن الثاني خادمكم

كونوا على يقين بأنكم ستجدون دائماً في ملككم وخادمكم الحسن الثاني ذلك الشاب الذي عرفتموه منذ نعومة أظفاره، في قسمه، وعرفتموه في الشارع، وفي الطائرة المنفى، وفي موكب الرجوع من المنفى، عرفتموه دائماً سائراً وراء نهج أبيه، وملكاً دستورياً وجندياً على رأس جنوده. وستجدون في الحسن الثاني وبفضل معونة الله وبالتفافكم حوله ذلك الرجل الذي أبى على نفسه أن يخون الأمانة، وأن يكون دائماً عند حسن ظنكم وقبل كل شيء عند حسن ظن روح والده الذي لم يدخر رحمه الله وقتاً لا من ليله ولا من نهاره في سبيل تكوينه حتى يكون الخادم الوفي للشعب الأمثل..

اللهم إني لا أسألك نفسي ولا مريم ابنتي وإنما أسألك شعبي.

دوري كعاهل المغرب

إنني أعتبر أولاً دوري كعاهل للمغرب ضامناً للحرية. ذلك أن وجود ملك في المغرب يمكن معه القول بأنه رئيس الدولة لا ينتمي إلى أي اتجاه أو أي حزب سياسي، وهذا أمر هام جداً فهو لن يكون في هذه الحالة حكماً يرى ويلاحظ فقط



لكنه الحكم الذي يواخذ بكل موضوعية ودون أن يهتم بالانتماء إلى هذا الاتجاه أو ذاك. هذا مظهر من الدور الذي أقوم به. أما المظهر الثاني فهو تجسيد لشخصية البلاد. فللبلاد شخصية في حدودها، في علمها في جنسيتها في سياستها، والمواطن في حاجة إليها سواء أراد أم لم يرد ومن أجل ذلك فهو في حاجة لأن يجسد وطنه في شخص ما.

ويمكنني أن أقول أن الشغل الشاغل لي في الصباح والمساء في الليل وفي النهار هو أن أكون دائماً جديراً بثقة شعبي مجيباً لما يعلقه من آمال في مستوى المحبة التي يكنها لي حتى يمكنني أن أقوم بعون الله ورعايته وبالتجاوب شعبي حولي بما يجب أن أقوم به من واجبات على أنواعها وأبعادها.

بابي مفتوح في وجه الجميع

وأنا بما أناطه الدستور بي من مسؤوليات وألقى على كاهلي من واجب المحافظة على وحدة الأمة والسهر على مصالحها عازم على أن أدفع بكل ما أوتيت من قوة عجلة التقدم بأمتي إلى الأمام وأسير بها قدماً في طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية لا ينثني لي عزم ولا تهن لي إرادة متيحاً الفرص لجميع الكفايات مرحباً بكل من يريد العمل مخلصاً من أبناء أمتي لتحقيق تقدمها ورخائها. فبابي مفتوح في أوجه الجميع، وأملي قوي في ممثلي أمتي بالمجالس التمثيلية، ويدي مبسوطة



لرعاياي كافة دون تمييز لأنهم جميعاً أبنائي لا يفضل أحد أحداً عندي إلا بقدر ما له من كفاية وما يتوفر فيه من حسن النية وطيب الاستعداد وشدة الاقتدار على ضبط نفسه وكبح جماحها وصرفها عن أنانيتها وشهواتها.

أنا سعيد وسط شعبي

أنا سعيد لأنني أحمد الله على أن منحني عائلة طيبة ولأنني أحاول تربيتها وتثقيفها طبقاً لمبادئ ديننا ولغتنا وحضارتنا، وأنا سعيد لأنني مقتنع بأنني بقدر الإمكان وبقدر ما استطعت لم أجعل إلا الجميل حولي، وأنني لم أسئ ولم أخطئ إزاء أي أحد، وأنا سعيد أخيراً لأنني أشعر أنني وسط شعبي، وكما يقول ماو "كالسمكة في الماء"...

كنت لشعبي روحي وعمري ودمي وصحتي

إذا كان شعبي العزيز قد أهدى إلي روحه ومحبته وقلبه فأنا من جهتي كنت له روحي وعمري ودمي، لا يمكنني أن أعطيه أغلى من صحتي وراحتي وسهري على مصالحه وخوفي عليه وإيماني به، كل الإحساسات التي تكون تتأجج بها أفئدة الوالدين (...) الذين يفرحون ويعتزون بأن وصل أبناؤهم إلى طور الرجولة وطور المسؤولية.



ليس هناك تناقض بين آمال الملكية ومطامح شعبي

س: هل يجلالتكم بوصفكم ملك المغرب يمكنكم أن تتناولوا طعام العشاء عند عائلة مغربية متواضعة؟

ج: لا أخاف سوى من شيء واحد وهو أن أعجز عن إيقاف العمل بهذه السنة إذا ما بدأتها إذ بمجرد أن أقدر على ذلك ستأتي الملتمسات من كل حي ومن كل مدينة. لكنني أرغب في القيام بذلك وهذا لا يعني أنني لن أقدم عليه، وعلى كل حال لن أكون متكلفاً ولا شاعراً بأنني أخطأت السبيل، لأن أجدادنا كانوا يعتمدون ألا تكون أمهات الملوك من البورجوازية الميسورة ولا من الارستقراطية المتكبرة إن أمهاتنا وأجدادنا والأجيال السالفة أخذت من طبقات الشعب الأكثر تواضعاً، ومن هنا لم يقع أبداً أن لوحظ في تاريخ المغرب وجود تناقض بين آمال الملكية ورغبات ومطامح الشعب المغربي.

عاهدتك وأعاهدك

عاهدتك شعبي العزيز يوم ألقى الله إلي زمام أمرك وأناط بي تدبير أمورك على أن أجتهد بلا أني وأسعى بلا أمل السعي وأبلي كل بلاء حسن وأركب كل سبيل محمود درءاً للمكاره وجلباً للمنافع وطلباً لجميل الأحدوثة، حتى تسير قدماك ثابتة لا ينبو بها المسير، راسخة لا تكبو ولا تزل، فيسر الله لاجتهادنا ما يسر من جميل الآثار وبلغ سعينا ما بلغ من سني الأغراض والأوطار، وكتب لكلمتك



أن تشيع، ولشأنك أن يتسع ويستطيل، ولولهنك
أن تشرئب إليه الأعناق وتمتد إليه الأبصار

أنا منطقي مع نفسي

حاولت دائماً - وهذه كانت مدرسة أبينا جميعاً مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه - حاولت لا في أيام حريتي ولا في أيام خدمتي لك ومن أجلك حاولت دائماً أن أكون منطقياً مع نفسي، فمن يعطي شيئاً لا يمكن أن يعطي بيد ويأخذ بيد، القانون والمنطق لا يسمح بهذا التناقض.

أنا رجل واقعي ومتفائل

أنا لست متشائماً أنا متفائل، أنا رجل واقعي ومتفائل بالطبع. هذا كله يجب أن تعلموا جميعكم على أساس انكم جميعكم مغاربة، الجهاز التنفيذي أو الجهاز التشريعي، أو الجهاز الإداري، يجب أن يعرف على أنه إذا جاء الفقر كلنا سوف نتحمله وإذا جاء الغنى كلنا سوف نتحمله، وإذا جاء الغنى سوف نتقاسمه ونحمد الله عليه.

أنا أحسن سفير لشعبي بالخارج

كنا دائما ولله الحمد فخورين كلما خرجنا إلى الخارج
وقمنا بواجبنا لنكون سفيراً لك (شعبي العزيز) وأحسن



سبيلك. دائماً كنا ولله الحمد نفتخر بأننا على رأس دولة وشعب وشعب بالخصوص يعرف حقوقه ويعرف حدود حرياته ويعرف كيف يسير سواء في داخل بلاده أو كيف يساير الأحداث خارج بلاده.

أنا رجل مسالم

أنا رجل مسالم وأفضل السلم دائماً على كل شيء... أصبحت أتساءل ماذا أفعل هنا شخصياً كبشر، ولم لم أتطوع شخصياً لتحرير القدس. تقع على الحسن المسلم وعلى الحسن تلميذ محمد الخامس مسؤولية الحفاظ على المبادئ والدفاع عن القيم. ولكن أعتبر شخصياً أن عمل الجماعة أحسن بكثير من الأعمال الفردية، وأن في مستوانا هذا التخطيط والتفكير والتدبير هو ربما سيقرب الهدف أكثر من طريقة أخرى. كان والدي رحمه الله يقول: "ما ضاع حق من ورائه طالب".

لقد أبررت بقسمي

وإنني شعبي العزيز سوف أبقى مدينا لك طول العمر على أن سهلت علي المأمورية، وجعلتني أبر بقسمي، ذلك القسم الذي قدمته بين يدي جلالة والدي محمد الخامس طيب الله ثراه، حينما عقد لي بيعة ولاية العهد وحينما أقسمت بين يديه وأمامك على أنني سأكون دائماً مدافعاً عن حوزة البلاد وعن كرامة ترابها.



وهكذا شعبي العزيز، ها هو طرف مما تعاقدنا
عليه قد أديته وصرت بذلك برا بقسمي، ولهــذا
أقول لك شعبي العزيز انني سأبقى مدينا لك طول العمر

● عن كتاب جلالة الملك الحسن الثاني، الملك الإنسان تأليف الأستاذ عبد الحق المريني نشر وزارة الاعلام ●